



الربيع الخالي

والمؤلف هانى تادرس

الربع الخالى

جلست مع اخى وابن اخى فى صاله مطار القاهره فى انتظار اقلاع طائره الخطوط السعوديه التى سوف يستقلها ابن اخى للذهاب الى الدمام للعمل هناك كمهندس فى شركه ارامكو للبترول وكم كانت سعاده اخى وابن اخى فى تلك الفرصه التى نزلت من السماء لصناعه مستقبل مشرق وعظيم لابن اخى وهى الفرصه التى يتمناها الملايين امثاله من الشباب وجلسنا نحن الثلاثة نتسامر ونقطع ملل طول الانتظار بالاحاديث المتنوعه فأخى يوصى ابنه بمداومه الصلاه والاقتصاد فى المصاريف والمحافظة على صحته ويخبره ان الخطوه القادمه هى العروسه واتمام نصف دينه اما ابن اخى فقد انطلق فى سرد احلامه وأماله فى المستقبل ووعده اباه انه سوف يرسل له بمجرد استقراره هناك لاحضاره هناك لعمل عمره وهذى هديته لوالده الذى حرم نفسه من كل متاع الدنيا ليصل بأبنه الى هذى الدرجه من التعليم وحتى حصوله على عقد السعوديه ونظر لى ابن اخى وقال لى ماذا تطلب يا عمى فأبتسمت وقلت انا عايز سلامتك يا ابنى فسترد ابن اخى الحديث يعنى احكى لنا عن تجربتك فى السعوديه انت كنت هناك من ثلاثين سنه فقلت اعتقد اننا امامنا وقت على اقلاع الطائره احنا امامنا ثلاث ساعات انا سوف احكى لك عن تجربتى وعن قصه حقيقيه عشتها هناك لعلها تكون مفيده نبدا الحكايه من معرفتى بحسن لارج احنا كنا بنسميه لارج لان كان فارح الطول قوى البنيه علاوه انه كان وسيم جدا وهو من مدينه المنصوره المشهورين بجمالهم سواء نساء او رجال وحسن كان واحد من هؤلاء وهو انسان طيب ومرح ولازم تحبه من اول مقابله وعنده احاديث متعدده وطبعا معظمها مغامرات نسائيه وهو هارب من مصر لانه عليه حكم حبس سنه من مطلقتة التى كتب كتابه عليها وطلقها قبل ان يدخل عليها ورفعت عليه قضيه نفقه ومؤخر كبير لم يستطيع سداده وارسل له احد الاقارب عقد له بالسعوديه للعمل فى شركه اعلانات ودعايه ولكن بعقد ضئيل جدا يكاد يكفى طعامه ومصاريفه الشخصيه ورغم ذلك فهو انيق فى ثيابه وفى مظهره الخارجى فهو يهتم مثلا بشعره وشاربه ودائما حليق الذقن وينظر الى المرأه كثير ويصلح من من ثيابه من الحين الى الاخر ولكن رغم مرحة فهو احيان كثير يشعر بالاكتئاب والضيق بسبب وضعه المالى السيى ومشكلته فى مصر فهو لا يستطيع النزول الى مصر بسبب حكم السجن وفى يوم حضر حسن وهو مهموم جدا لانه تشاجر مع كفيله الذى يؤخر راتبه الضئيل ولكن عادل صديقنا كان عنده مفاجئه ساره لحسن حيث اخبره انه عثر له على وظيفه تساعد كثيرا بجانب عمله فى الدعايه حيث اخبره ان الوظيفه هى العمل فى الملاهى الخاصه بالاطفال يوم الخميس والجمعه من كل اسبوع ومواعيدها من الخامسه مساء الى الحاديه عشره وحيث ان اجازته هى من منتصف الخميس والجمعه فانه ممكن ان يعمل دون ان يواثر ذلك عمله وهى بمرتبه 800 ريال فى الشهر و صاح اخيرا خرج من الفقر انت صنعت معى يا عادل جميل لن انساه لك طول حياتى واسترد خفه ظله وقال ضاحكا حخليك تركب المراجيح مجاناً يومياً وضحكا الجميع وبعد العشاء انصرف الجميع وظل حسن معى وقال ممكن انام هنا اليوم فقلت بيتك ومترحك يا ابو على وفى صباح اليوم التالى انصرف حسن وطلب منى مبلغ من المال لحين استلام راتبه وهذا سبب طلب نومه معى لانه كان يخجل ان يطلب نقود امام اصدقائنا وبعد انصراف حسن لم اراه لمدته اسبوعين متتالين ولم اعرف السبب وفى اليوم السادس عشر حضر حسن وكان يوم الاربعاء

وعندما فتحت الباب لاستقبله وجدت شخص اخر فقد حضر بزى سعودى ونظاره ريبان ذهبيه وساعه ذهبيه فى يده رولكس ورائحه العطر تفوح منه وصحت مش معقول حسن بعد التعديل ايه يا ابنى الحلوه والروقان ده فضحك حسن وقال ايه رايك انا اسمى اليوم فهد او عبدالله او اى اسم سعودى فقلت تعالى احكى لى وبالتفصيل ماذا حدث لك وجلسنا سويا وطلب شاي واخرج عليه سجائر مارلبورو واخرج قدحه ذهبيه واشعال سجارتة وانا فى غايه التعجب والاستغراب وجاء الشاي الساخن وقال انا جعان جدا فقلت عندى من خيرات الله ماتشاء واحضرت له لحم ضانى وارز وفاكهه وسمبوسه وحلويات شرقيه فأكل بشرائه وبدا بعد ذلك يحكى لى عن هذا التغيير فى حياته فبدا حديثه ربك لما يريد انا وقعت على كنز فى ثياب وملاح امراه وهى امراه علاوه على انها جميله ومتوحشه تشعر بظماً شديد للعلاقات الحاره وهى فى نفس الوقت شديد الثراء ومن عائله كبيره هنا فى جده فقلت انتظر احكى لى بالتفصيل كيف تعرفت على تلك امراه واين فضحك حسن وقال اكيد انت تريد امراه من هذا النوع واسترد الحديث وقال عموماً سوف احاول ابحت لك عن صديقه لها واستمر فى الضحك فقلت احكى لى يا حسن فقد شوقتنى كثيراً فقال اوكى انا ذهبت الى العمل فى الملاهى طبقاً لاتفاقى مع صديقنا عادل وذهبت فى اليوم التالى واتفقت مع مدير الملاهى انى استلم عملى فى اول خميس وفعلاً توجهت الى مدينه الملاهى وهناك استلمت زى خاص بالعمل ومر اليوم الاول طبيعياً لطفال واسرهم معظمهم من المربيات الذين يرفقون ابناء الاسر التى يعملون لديهم وهناك قليل من النساء يرفقون ابنائهم وكنت اعمل على لعبه السيارات السريعه التى تدور وتصدم ببعضها البعض وهى متعه للاولاد لانهم يتسابقون فيما بينهم والمرافقون من المربيات والامهات يشجعونهم من خارج الحلبه ومر اليوم الاول بسلام وشعرت بسعاده غامرته من الوظيفه الجديده رغم التعب حيث لاوقت للراحه عمل متواصل من الخامسه حتى الحاديه عشر بدون توقف وفى اليوم التالى وهو يوم الجمعه كان هناك زحام شديد والنساء والبنات والمربيات يرافقون اولادهم واخواتهم ووقفت بجانبى وصاحت ممكن يا مصرى تلحق ابن اخى بسياره فاخره وضحكت وقالت ولا السيارات هنا كلها قديمه فنظرت الى مصدر الصوت ووجدت امامى عينان جميلتان يندفعان من خلف حجاب يغطى الراس والوجه ويبرز انف مرمرى من بينه فقلت عيونى طلبك عندى فقالت وايش طلبى قلت انت تريدى سياره فاخره فقالت وسائق وسيم فقلت ضاحكا طلبك عندى واصطحبت ابن اخيها ولمست اصابعى اناملها الرقيقه واستقل ابن اخيها السياره واندفع يطيح برفاقه الذين كانوا يستقلون السيارات الاخرى وهى تشجعه ومعها زوجه اخيها وام الطفل وعندما انتهى الصبى من لعبته رفقته الى امه والمراه الجميله التى سحرتى وتلامست اناملنا مره اخرى وشعرت بحراره جسدها تسرى فى جسدى ونظرت الى عينيها الجميلتان وقلت اسمك ايه فقالت فى رقه عبير وانا قلت حسن ومرت الايام وتلقينا مره اخرى ولكن هذى المره كانت مختلفه كانت فى غايه العصبيه وقالت لى متى تنتهى من عمك فقلت فى الحاديه عشر فقالت سوف انتظرك فى السياره بالخارج مع السائق الفلبينى سوف يأتى لاصطحابك فنظرت اليها متسائل الى اين فقالت انت تريدى ام لا فلم اجد اجابه وظللت متسمرا امامها وهزيت راسى بالموافقه وهلعت خارجه وهى تهرول فى مشيتها وهذى المره كانت بمفردها ولم يرافقتها احد وظللت متسمرا فى مكانى شاردا لم اعرف ماذا افعل ومر الوقت بطى حتى جاء موعد انصرفى من عملى ووجدت شاب فلبينى الجنسليه يقترب منى ويهمس بصوت خافت مسيو هسن فقلت ياس فحرك راسه لارفاقه ومشيت خلفه وانا انظر خلفى وحولى خوفا ان يلمنى احد ووصلنا الى السياره وكانت

تجلس فى الخلف ودلفت بجوارها وانطلق السائق بسيارته بسرعه جنونيه ولم اعرف اين انا والى اين نتجه وماذا تريد منى هذى المراه وراحت السياره تنهب الطريق والظلام يكسو المكان وبعد اكثر من ساعه توقفت السياره امام فيلا كبيره تغطيها الاشجار من كل جانب ونزلت المراه وهمست الى السائق الذى اندفع عائد بسيارته واختفى سريعا ودخلت المراه وانا خلفها الى داخل الفيلا واشعلت الانوار واخيرا تكلمت بعد الصمت المطلق الذى احتفظت به منذ خروجنا من مدينه الملاهى وقالت حسن مرحبا انت الان ملكى وانا ملكك واقتربت منى تقبلنى وقالت سوف اجعلك اليوم ملك وسوف اكون جاريه لك اصنع بى ماشاءت وظلينا نتبادل القبلات الحاره ويلتصق جسدى بجسدها بعنف واطا فرها تترك اخايد وعلامات على جسدى وظلينا حتى بدء اول ضوء من الصباح يتسلل من وراء الستار وهمت هى واقفه وخرجت متسلله من الغرفه وكان النعاس لازال يملكنى ونظرت حولى كنت عارى الثياب وبمفردى فى غرفه نوم المراه واستردت زمام نفسى وارترديت ملابسى وتجولت فى الردهه الفسيحه حتى وصلت الى الحمام فشعرت بحاجتى الى ان القى بجسدى تحت الدش ونزلت المياها شديده القسوه على جسدى فقد كانت بارده جدا ولكنها انعشتنى وخرجت من تحت الدش وانا ارتجف وسمعت صوت عبير وقالت حسن ابو على حسونه انا اعددت لك الشاى والطعام ودخلت على وهى عاريه تمام وكنت لازلت لم ارتدى ملابسى فقلت لى هيا بنا نستحم سويا ونزل الماء هذى المره دافئ وتعانقنا والماء ينسال على اجسادنا فيطفى لهيب النشوه المشتعله . بعد ذلك قالت لى هيا تناول سريعا افطارك لاننا سوف نرحل من هنا بعد ربع ساعه من الان و السائق سوف

يأتى ثم قدت لى مبلغ من المال كبير وقالت كل مره .

تسعدنى فيها سوف اعطى لك ك ما تحتاجه وكل ما تتمناه ورن الجرس وذهبت الى الباب الخارجى حيث كان السائق الفلبينى يقف وانطلقت السياره بنا تنهب الطريق بسرعتها ثم امرت السائق ان يقف بسيارته ثم اشارت لى بان انزل هنا واستقل سياره اجره الى منزلى واعطتني رقم هاتف قالت لى اتصل وفى الموعد المتفق عليه اتصلت .بى يوم الاتنين القادم فى الساعه الثامنه وسوف اخبرك اين تنتظر بالرقم الذى تسلمته من المراه الجميله عبير وكنت انا فى غايه الشوق والشغف لها واتصلت بها واسمعنها عبارت الغزال وكلامات الحب الساخنه واخبرتها انى فى اشد الشوق اليها وانها تملك جسد ساخن ساحر ناعم وانوته طاغيه فقالت وانت يا حسن انا عشقتك وعشقت جسدك هيا سريعا سوف انتظرك فى مدخل المركز التجارى وبالفعل استقليت سياره اجره وكنت بعد ربع ساعه امام المركز التجارى وكانت تنتظرني بسيارتها فى ركن المركز التجارى وجاء السائق وكاتم اسرارها الفلبينى الجنسيه و اشارا لى بمكان تواجد السياره وعندما شرعت فى الدخول الى السياره خرجت المراه السعوديه وقالت بلهجه تعمل معانى الامر اتبعنى وانطلقت مسرعه داخل المركز التجارى وانا خلفها وهى تسرع فى خطاها ووقفت امام متجر لبيع الملابس السعوديه وتكلمت مع البائع وهو يمنى الجنسيه ونظرت لى ثم قالت لى انهى مهمتك سريعا وانا فى انتظارك فى السياره ووقفت امام البائع وانا لم اعرف الخطوه القادمه ولكنه لم يتركنى احتار كثيرا وقال تفضل يا اخى ودخلت معه المحل واخرج سروال ابيض وقال نفس مقاسك ثم تابع واخرج غتره سعوديه والتي توضع على الراس وغطاء ابيض ثم نظر الى قدمى وقال مقاس القدم كام فقلت 42 فختار صندل ن الجلد المعقود ثم احضر سروال داخلى وبسرعه جمع كل المشتروات فى اكياس ووضعها داخلها ثم اعطى لى عطر هديه من المحل وعندما شرعت فى اخراج نقود لسداد المشتروات قال الحساب مدفوع ونظر لى بنظره غريبه لم افهم

معناها وانطلقت عائد حيث كانت المراه فى انتظارى وانطلق السائق مسرعا الى نفس المكان الذى حدث فيه اول لقاء ووصلنا وكان الظلام يخيم على المكان ودخلت المراه السعوديه مسرعه الى داخل الفيلا وانا خلفها ولم ننتظر لننظر حولنا فقد كان الشوق يجمعنا ويشل تفكيرنا وبنفس السيناريو المره السابقه دخلت الى الحمام مسرعا وفتحت الدش لينسال الماء بغزاره ولكن هذى المره كان ماء دافى وتابعتنى وهى تنزع ملابسها وتعانقتا والماء ينسال بغزاره على اجسادنا فيطفئ لهيب النار التى تندفع منه وانتهيئا من اللقاء وكنا فى غايه النشوه وقلت لها انا اتصور جوعا فردت انتظر دقائق وسوف اعد لك وليمه ولم تمضى لحظات الا وجرس الباب الخارجى يدق وفتحت له من داخل الفيلا وكان السائق الفلبينى فقد احضر الطعام الساخن وهو عباره عن خروف مشوى ومحشى بالمكسرات والتمبلات ويحيط به ارز يسمى بالسعودى كبسه ثم عاد السائق يحمل انواع مختلفه وشهيه من الفواكه واخيرا حمل طبق كبير من الحلويات الشرقيه ثم انصرف مسرعا دون ان ينظر خلفه اوحواله واحضرت المراه السعوديه قنينه من افخر انواع الويسكى ثم كانت المفاجأه زجاجه شمبانيا واحضرت كاست من الفضة الخالصه وقالت لى قوم وارتنى الملابس السعوديه الجديده وسوف اقوم انا بالرقص لك وادارت جهاز بجوارها انبعث منه اغنيه سعوديه راقصه واثناء ذلك كنت ارتديت الملابس السعوديه وعندما راتنى ظلت تضحك وقالت انت تجنن وهكذا قضينا نتعانق ونتلامس ونغنى ونرقص ونشرب حتى بزغ اول ضوء للنهار وقد غلب النعاس والتعب والارهاق غايته منى فقلت فى صوت خافت دعينا ننام ونأخذ قسط من الراحة ولم اسمع ردها فقد سبقتنى فى النوم.

وهكذا استمرت ايامنا ونحن نغرق فى النشوه والشهوه وهى تزبغ علي بالمال والهديه الثمينه وتوقف حسن عن الحديث ونظرت له وقلت مسكين يا حسن انت غرقان فى مستنقع عميق ولا اعرف اين نهايته انت لاتسمع عن القصص المرعبه عن امثال تلك النساء الذين ينهشون لحم الرجال ويغروهم بالمال والهدايا الثمينه ثم بعد ذلك يكون مصيرهم الربع الخالى فنظر لى حسن باستغراب وتسال ايه هو الربع الخالى فقلت له هو مكان خالى من اى انواع الحياه صحراء قاحله جافه تبعد عن الحضر الاف الاميال وهم يتخلصون من ضحاياهم هناك حيث الموت جوعا وعطشا ورعبا وفالنهايه يكون وليمه لكل انواع لحيوانات المفترسه نظر لى حسن بحده وقال الظاهر انى غلطان انى حكيت لك انت اكيد تشعر بغيره وحقد عليه ونظرت له انت اكيد مش فى وعيك لانك تعرف انى احبك واقدرك منذ معرفتى بك وما اقول هو خوف عليك يا صديق وعموما انت طبعا حر وتصرف كما يحلو لك وهكذا انتهت مقابلتنا وخرج حسن غاضبا وانا كنت اشعر بقلق شديد عليه ومرت الايام والاسابيع ثم الشهور ولم يأتى حسن الى منزلى رغم انى سألت عليه اصدقائه واخبرونى انه بخير وتغير فى كل شى من ملابسه حتى لغته تغيرت وفجائه عرفت انه عاد الى مصر وبلده المنصوره واتصلت به هناك ورد على وكان فى حاله حزن شديد وعرفت منه انه ترك المراه السعوديه وانه طرد من عمله فى الدعايه وان كفيله قد قام بترحيله الى مصر وانه اضطر الى مصالحه زوجته حتى يسقط الحكم الصادر بحقه فى السجن وانه حاليا لايعمل ويبحث عن اى وظيفه وقد قام بسداد المؤخر المستحق عليه لزوجته كشرط للصالح وانه فقد كل ما جمعه من السعوديه ومن المراه بصفه خاصه وبعد تلك المكالمه مع حسن شعرت بحزن شديد عليه ولكنى قلت فى نفسى بس كده ربنا نجاه من تلك المراه الشيطان وما كان ممكن ان يحدث له.

وبعد اكثر من اسبوع من مكالمتى لحسن رن هاتفى وكانت الساعه تقترب من السادسة مساء وجاء

صوت ناعم عميق صوت نسائي تتكلم بشموخ وكبرياء او قول بغرور وقالت وين حسن فقلت حسن مين انت طلبه مين حضرتك فقلت وين حسن صديقك فقلت مين حضرتك فردت انا عبير انا اعرف انه حكي لك عنى فقلت بتردد وماذا تريدى من حسن هو الان فى مصر وقد تزوج فقالت اعرف انه فى مصر فقد هرب هرب الجبان ولكنى سوف استعيده حتى لو ذهب الى رحم امه مره اخرى قالت تلك العبارة المخيفه وانتهت المكالمه وفكرت انى اتصل بحسن لاحذره ولكنى قلت ماذا سوف تستطيع ان تصنع له فى مصر وبعيد عن سلطانها وسطوتها الافضل ان ادعه يعيش فى هدوء ولا داعى ان اخيفه او حتى ازعجه ومرت الايام والشهور ولم اسمع عن حسن وانشغلت فى عملى وعلى اصدقائى هناك حتى رن هاتفى وكان المتحدث هو حسن او حسن لارج كما كنا نناديه وكان يتكلم بسرعه وبفرح شديد وهو يخبرنى انه قادم مره اخرى الى السعوديه حيث حصل على عقد مميز جدا للعمل هنا فى جده فى شركه كبيره وان مندوبها وهو سعودى قد اتصل به وعرض عليه العمل بل انه التقى به فى القاهره وتابع حسن حديثه حيث قال سوف اصل الى جده الخميس القادم وعايز استقبال فخم وضحك حسن وضحكت انا بدورى وقلت احنا فى انتظارك فى المطار وسوف اتصل بكل الاصدقاء وسوف نستقبلك استقبال الفاتحين ونقيم لك يعد ذلك وليمه كبيره وضحك حسن وضحكت انا وكنت فى غايه السعاده وشعرت انه يكاد ان يطير من الفرح وان السعاده والبهجه تعود اليه مره اخرى وان هذا هو حسن الذى اعرفه ومرت الايام سريعه وجاء يوم الخميس وتجمعنا نحن اصدقاء حسن وكل من سمع ان حسن راجع مره اخرى يؤكد انه قادم الى المطار ليكون فى استقباله وفى الموعد المحدد لوصول الطائره كنا جميعنا فى صاله الاستقبال وبعد عده دقائق ظهر لنا حسن وهو بحلته الجديده وكان يتابع حقائبه وهو يلوح لنا من بعيد ونحن بدورنا نلوح له حتى اخيرا وصل الينا وتسابق الجميع على عناقه والترحيب به بكل حفاوه وشوق لانه صديق محبوب للجميع وحمل اصدقائى حقائبه نيابه عنه وبينما كنا فى طريقنا الى سيارتنا التى تنتظر خارج المطار اذا بصوت رجل فى منتصف العمر من السعوديه يخاطب حسن اهلان اهلان بالغالى مرحبا وحمد الله على السلامه ونظر حسن وتعرف على الرجل سريعا وقال له ابو فهد كيفك انت هنا فى انتظارى ده شرف كبير لى فرد الرجل بأدب بالغ الشرف لنا يا ابو على انت نورت السعوديه زى ما بتقوله فى مصر فرد حسن السعوديه منوره بأهلها ثم استرد الرجل الحديث وين حقائبك يا حسن فقلت انها معنا فرد الرجل لا سوف ينزل به ونجهز له كل احتياجاته وغدا يكون فى ضيافتكم وبالفعل قام حسن بوداعنا وانطلق مع حسن و .الرجل السعودى وعدنا نحن الى منزلى حيث سهرنا على ضيافته حسن ولكن بدونه ومر و اسبوع ولم يأتى ايضا او يتصل وكنا فى غايه القلق ولا نعرف بمن نتصل ولا نعرف اسم الشركه التى يعمل بها او اى معلومات تصلنا به وفى اليوم الثامن من قدومه الى مصر رن هاتفى وكان المتصل حسن وصحت انت فين يا ابنى احنا فى غايه القلق عليك وليه لم تأتى او حتى تتصل لنطمئن عليك ما احسن فقد ظل عده دقائق صامت وانا اتابعه بأسئلتى المتتبعها واخيرا توقفت واخيرا هو تكلم وقال انا مسجون فقلت باستغراب مسجون ليه فقال قصه اغرب من الخيال فقد نجحت المراه السعوديه ان تحضرنى هنا مره اخرى للسعوديه وهى التى ارسلت الرجل السعودى لى فى مصر وهى التى استخرجت لى تأشيرته دخول وعندما وصلت وتركتكم كانت تنتظرنى فى السياره خارج المطار وقال لقد نالت منى وهى تنتقم منى بكل انواع اساليب الانتقام ولا اعرف متى ينتهى هذا وانا الأمل ان تحررنى

قريباً ولن ابقى هنا بل سوف اعود الى مصر نهائياً ارجو تبليغى سلامى لكل الاصدقاء وانا اسف على وانهى حسن المكالمه ومنذ هذا اليوم لم نسمع اى اخبار عن حسن .انى سببت لكم كل هذا القلق ومرت ايام ثم شهور وسنوات ولم نسمع اى اخبار عن حسن واين ذهب ابلاغنا الشرطه فلم تستدل على اى اثر له ابلاغنا السفاره المصريه وقام اهله بالاتصال بالخارجيه والسفاره السعوديه فى القاهره ولم يصل احد الى اى معلومه بل لم نعرف من هى تلك المراه والاغرب ان حسن لم يظهر اسمه فكشوف الوصول الى مطار جده وانا اتسأل بدورى هل كان مصير حسن هو الربع الخالى

هانى تادرس

18/11/2016 فى